

# غاليسيا: موطن كاتدرائية المعجزات

< دو مينيك ميرل  
سانتياغو دي كومبوستيلا  
-إسبانيا

ماذا يجمع روس، 62 عاماً، وهو جرّاح من مينيسوتا، ونيفيو، 18 سنة، المدمن على المخدرات من إيطاليا، وليليان، 44 عاماً، المعلّمة البلجيكية؟ إنهم جميعاً "حجّاج" إلى "كاتدرائية المعجزات" في هذه المدينة الغاليسية، سانتياغو دي كومبوستيلا، في شمال غرب إسبانيا، والتي كان يعتقد ذات يوم أنها نهاية العالم.



Santiago Cathedral

كنيسة سانتياغو ◀ كيلومتراً الأخيرة إلى الكاتدرائية لإكمال

و لكن الملايين الذين يتزاحمون هنا كل سنة لم يعودوا قلقين من إمكانية "السقوط"، كما كان يخشى ذلك الجيش الروماني عندما وصل إلى نهاية شبه جزيرة إيبيريا، إنهم يشقون طريقهم إلى زيارة ضريح سانت جيمس، راعي إسبانيا، في كاتدرائية دي سانتياغو دي كومبوستيلا الشهيرة، رغم أن العديد من المؤرخين يقولون إن رفات القديس الشهيد لا يوجد في الكاتدرائية مطلقاً. ويزعم البعض أن قدمه لم تطأ التراب الإسباني.

وإذا تركنا الدعايات جانباً، فإن ضريح القديس جيمس أصبح أكبر مكان للحج المسيحي بعد روما والقدس. المؤمنون الذين يريدون ببساطة اعتقاد ذلك، يصلون باستمرار من كل اتجاه، و"الطريق إلى سانتياغو" كثير البدايات، ولكن نهايته واحدة فقط.

روس (وليس ذلك اسمه الحقيقي) جاء للصلاة على روح أحد أقربائه الذي توفي مؤخراً. نيفيو بدأ رحلته مع صديقه في بولونيا وهو يأمل في علاج الإدمان على الكوكايين. وفي واحدة من تلك المفارقات القاسية في الحياة، فإنهما تخاصما في الطريق وهو الآن يمشي وحده. ليليان قالت إنها جاءت لمجرد "البحث".

التقينا كلا منهما على حدة في طريقنا بالحافلة والذي بدأ من بلباو عاصمة الباسك. وعلى الحاج الحقيقي أن يمشي على الأقل 100 كيلومتراً الأخيرة إلى الكاتدرائية لإكمال



Gastronomies

المطبخ المحلي



Sweets

حلويات



Bagpiper

موسيقي

ومن المفارقات أن سياقة ساعة بالسيارة من هذه المنطقة المسيحية المتعصبة، توصلك إلى قرى غاليسية يسود فيها السحر والساحرات، وحتى الاعتقادات الوثنية بالأرواح. في وسط مدينة كورينيو، يمكن سماع الناس الذين يعتقدون أنهم مسوسون، وهم يصرخون ويجذفون، إلى أن يشعروا أنهم قد خروا من الأرواح. ◀

بالجبال من السقف، وختاج إلى ثمانية رجال لأرجحتها في مثل حركة البندول في الكاتدرائية وتوقيفها تماما بعد الحفل. ولما كان معظم من يحضر هذه الصلوات هم من الحجاج الذين ساروا مسافات طويلة في حرارة النهار، فإن العديد من أهالي غاليسيا الظرفاء يسمونها "أكبر مزيل للروائح في العالم".

المهمة. ولكن هناك بعض الأتباع الأكثر تدبنا بمشون عشرين ضعف هذه المسافة وذلك خلال أشهر، متوقفين للطعام والراحة في الفنادق الرخيصة على طول الطريق.

سانت جيمس، واحد من 12 من حواربي المسيح (ع)، ويعتقد أنه أن قد قطع رأسه في القدس في سنة 44م، وحسب الأسطورة، فإن رفاته جلب في قارب، مع أتباعه، إلى هذه المنطقة التي سبق وأن كان يبشّر فيها بالإجيل. ما بين 812 و814م، لفتت جمة نظر فلاح إلى حقل ناء بضوئها الساطع، ويقال إنه اكتشف القبر هناك. وألهم الإكتشاف هذا استرداد المسيحيين لشبه جزيرة إيبيريا من يد المسلمين.

ويمكن ملاحظة برج الكاتدرائية المميزين (وهما على النمط الباروكي) من بعد أميال. المذبح المرتفع يهيمن عليه تمثال القديس جيمس المغطى بقمماش فاخر، ويتسلق الحجاج السلالم خلف المذبح لحضنه وتقبيل عباته. وخت المذبح قبو يعتقد أن فيه رفاته.

كنا هناك خلال صلاة تستعمل فيها الـ"بوتافومبيرو" وهي مبخرة نحاسية ضخمة مطلية بالفضة تزن أكثر من 200 رطلا وتتدلى

أنه مشى على الأقل الحد الأدنى، وهو 100 كيلومتر. لكن هناك إشارة لا تخطأ. أولئك الذين يصلون إلى سانتياغو خلال أشهر الصيف يحملون آثار الشمس بوضوح على جلودهم من الجانب الأيسر المواجه لأشعة الشمس القوية، وعليك عدم التحرش بالطبيعة الأم أو أهالي غاليسيا. ■ (دومينيك ميل كاتب ومستشار سباحي من مونتريال).

يفيو ذو العيون المزينة حمل العبء المزوج من الإيمان وفقدان الحب. كان يمشي في شوارع بامبلونا، حيث يقام ركض الثيران كل تموز، وليس هناك مجال للعودة إلى الوراء بالنسبة له. الطبيب روس بقي مقيما في فندقنا في ليون، وقام بترتيب سيارة أجرة لنقله إلى قرية ساريا صباح اليوم التالي حيث سيبدأ مسيرة 100 كيلومتر مشيا إلى سانتياغو. كل حاج يحمل "جواز سفر الحج" المختوم لإثبات

وإلى الجنوب في نيفيس، ثمة طقوس غريبة تعرف باسم "مسيرة الأكفان". وهنا، في 29 تموز من كل سنة يقوم الأشخاص (الذين يعتقدون أنهم قد غفر لهم) بلبس أفضل ما عندهم والدخول في التوابيت التي تشيخ حول القرية من قبل أقاربهم.

وفي كثير من القرى، تسمع صوت الناي المرتبط بحقيبة مليئة بالهواء، حيث أن القبائل السلطية حكمت هنا لحوالي 800 سنة ابتداء من عام 1000 قبل الميلاد. وفي الواقع، فإن إسم هذه المنطقة مشتق من كلمة "غاللايكي" وهو الاسم المعروف عند القبائل السلطية.

(كان هناك عازف جوال، بملابسه السلطية، قد دخل إلى مطعمنا في سانتياغو دي كامبوستيلا في إحدى الأمسيات، وكان عزفه سيئا، وتصرف كما لو أنه كان مخمورا، وتم طرده بسرعة).

كما اشتهرت غاليسيا، أو ربما نالت سمعة سيئة، باين آخر من أبنائها اللامعين، الجنرال فرانسيسكو فرانكو، الذي ولد على الساحل الشمالي في مدينة فيرول. لكن فرانكو أيام حكمه فعل القليل جدا لغاليسيا، لأنه كان ضد الولاة الإقليمي في إسبانيا، فذهب إلى أبعد من ذلك، حيث أنه منع تعليم واستخدام اللغة الغاليسية رسميا.

وفي حين أن "الطريق إلى سانتياغو" لا بداية حقيقية له، هناك العديد من الطرق إليها من جميع أنحاء أوروبا، مثل الطريق الفرنسي والبرتغالي والإيطالي، والطرق البحرية، وكلها معلّمة بإشارات واضحة تحمل شعار الحمار.

لماذا الحمار؟ يمكنكم اختبار الأسطورة التي تناسبكم. وهناك نظرية شعبية تقول إن الحمار يجتمع عند نقطة واحدة، وكذلك الطرق تجتمع كلها في سانتياغو.

التقينا ليليان المعلّمة في منتجع سان سيباستيان الشهير عالميا على بعد بضعة كيلومترات من الحدود الفرنسية، ولم تكن متأكدة تماما كم سنقطع من الطريق مشيا أو ركوبا، ولكنها مصممة على إتمام الطريق إلى سانتياغو حتى إذا اضطرت إلى جعل ذلك على شكل أقساط موزعة على عدد من السنين.



Plane Tree Lane

شارع مشجّر